Issue 6348 Monday 13/5/2019
الزمان – السنة الثانية والعشرون العدد 6348 الاثنين 8 من رمضان 1440 هـ 13 من ايار (مايو) 2019م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/22. UK

إقليم البصرة هو المفتاح لهدوء العراق وإستقراره

علي جبر دنبوس
المانيا

مازالت بناية النظام السياسي في العراق غير ثابتة ومخلخلة، والسبب يكمن في ان هذه البناية قائمة على ركائز ضعيفة لخلل في التطبيق، اوعلى ركائز مفقودة تماما من أي تطبيق. العديد من الركائز السياسية التي من المفترض ان النظام السياسي في عراق ما بعد 2003يقوم عليها دستوريا مازالت إما غير معمول بها أوانها تعاني من حصار ورفض، بل وتكابد بعض هذه الاسس عداءً علنيا، حيث المحاولات المتشنجة لادراج هذه الاسس في قاموس وعي المواطن البسيط تحت عنوان (الطروحات المعادية لمصلحة المواطن والوطن). وهنا يفيدنا علم المصطلحات لكي يقرب صورة هذه الركائز. فركائز مثل: فصل السلطات، مدنية النظام السياسي، الفدرالية، إما شبه مفقودة أومفقودة تماما بل ومستعداة من قبل اللاعبين السياسيين. ولعل اكثر هذه الاسس الدستورية معاناة هي الفدرالية. ورغم ان الدستور العراقي قد اسس بنايته على ركيزة الفدرالية كأول حجر في أساس قيام النظام الجديد، حيث وصف الدستور في أول مواده ـ جمهورية العراق ـ وفي صدارة التوصيفات على انها (دولة اتحادية)، إلا أن المزاج السياسي والوعي الشعبي مازالا بعيدين عن الاخذ بالنظام الاتحادي (الفدرالي)، اوبالمطالبة بتطبيقه، بل وهناك مناخ ضاغط في الحصار ضد المطالبة بالفدرالية وعلى تطبيق هذه الركيزة. يقول الامام علي (عليه السلام): الانسان عدوما جهل. ومثلما أن مسودة دستور عام 2005لم تناقش من قبل الشعب ولم يتعرف عليها الجمهور بدقة قبل التصويت على هذا الدستور، اي ان جهلا قد وقع في معرفة الدستور، فلقد تسبب عدم الوعي الدستوري هذا في خوف الناس من الكثير من ركائزه ومواده، بل وبمعاداتها. ويأتي التوجه الدستوري لتطبيق نظام الادارة الفدرالي في مقدمة هذه الركائز الدستورية التي تعاني الحصار والعداء بل وحتى التخوين. والذي زاد في هذا الحصار والعداء والتخوين لركيزة النظام الفدرالي هواضطراب العلاقة الشديد بين الحكومة المركزية العراقية والحالة الفدرالية الوحيدة والنموذج الوحيد المطبق في العراق، الا وهي فدرالية كردستان. هذا النموذج الذي وجد في الحياة السياسية الجديدة بصورة إملائية بواسطة المادة 117من الدستور والتي اقرت بفدرالية كردستان على ما هي عليه دون مناقشة هذا النموذج، تثير التخوف بل والرعب من تقسيم العراق، وذلك نتيجة الطموحات الاستقلالية لقادة هذه الفدرالية والتي ظهرت جليا من خلال استفتاء عام 2017.

خيار فدرالي

ان الخيار الفدرالي خيار ناجع للشفاء من امراض ادارة الدولة في العراق ليس لأن هذا النوع من النظم السياسية قد اثبت نجاحه الباهر في ادارة الدول فحسب، بل يبدوأن العراق لا يوجد امامه من خيار من اجل الاستقرار السياسي والاجتماعي سوى الخيار الفدرالي. ولعل تجربة ادارة مركزية للعراق قاربت قرنا كاملا من الزمن ومنذ عام 1921مكتظة بالفشل في حل مشكلة ادارة الدولة لعراق متنوع، يجعله تنوعه من خلال النظام المركزي غير مستقر، لعلها كافية على الاقل للتفكير ولدراسة التجارب الفدرالية في حياة دول العالم. صحيح ان عدد الدول التي تطبق شكلا من اشكال الفدرالية في العالم لا يزيد على 28دولة من بين 193 من الدول المنظمة الى الامم المتحدة، الا ان على ارض هذه الـ 28دولة يعيش اكثر من 40%من سكان العالم. وكما ان الدول الاكثر استقرارا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا والاكثر تقدما في العالم هي دول ذات نظم فدرالية، مثل الولايات المتحدة الامريكية، المانيا، كندا، استراليا، الهند، سويسرا، اثيوبيا، النمسا، البرازيل، الامارات العربية المتحدة ... الخ. ومن وجوه معاناة الدعوة الى تطبيق الفدرالية في العراق أن الخائضين في مناقشتها لا يمتلكون المعلومات الكافية والرؤية الواضحة لهذا النوع من النظم. فالكثير ممن تولى دراسة الدعوة الى تطبيقها حبيس تصورات خاطئة عنها، تجعله يخوض في مناقشتها دون أسس علمية. ومن بين هذه التصورات الخاطئة:

1. أن فدرالية العراق (يجب) أن تشابه اوتقوم على نموذج مطبق في العالم، لأعتقاد خاطيء بأن النظام الفدرالي في تجارب العالم هونظام قائم على أسس تطبيقية واحدة. بينما المطلوب هوالعكس تماما، وهوان تبنى كل فدرالية على اسس خاصة بظروف البلد الذي يطبقها ومفصلة على مقاييسه، لا أن (يجب) عليها مشابهة احدى التجارب العالمية. وأي نظام فدرالي يستأنس بتجارب الدول الفدرالية الاخرى ولكن لا يجب عليه استنساخها. فالاستنساخ سوف يوقعه في مشاكل عدم استجابة الواقع الى النظرية، ذلك لأن كل دولة لها معطياتها الخاصة بها، وليست نسخة عن أي بلد آخر. ففدرالية المانيا هي ليست نسخة عن فدرالية الولايات المتحدة. ولا الفدرالية السويسرية هي ذات الفدرالية الكندية اوالنمساوية اوالهندية ... وهكذا بقية النظم الفدرالية في العالم والتي لا يشابه واحدا منها الاخر. فالنظام الفدرالي هوآلية ولكنها لا تصنع ذات المنتوج.

2. والكثير إن لم يكن أغلب من خاض في نقاشها يعتقد أن النظام الفدرالي (يجب) أن يقوم على أساس إثني أوطائفي، وبانتفاء هذه التعددية تنتفي الحاجة الى النظام الفدرالي، ولا يعلم أولا يلتفت الى تجارب الدول الفدرالية التي لا توجد في بلدانها لا تعددية أثنية ولا طائفية، ولكنها تطبق النظام الفدرالي.

ولذلك فغالبية العراقيين يعتقدون ان فدرالية العراق لابد ان تقوم على ثلاث مكونات ادارية: كردية في الشمال، سنية في الغرب وشيعية في وسط وجنوب العراق. ومن الملاحظ ان الدعوة الى انشاء الفدراليات الثلاث هذه والتنظير لها لم يتوقف على الجمهور العراقي، بل تبناه في الاساس سياسيون وباحثون اجانب، فوقعوا في نفس خطأ تشخيص الحالة العراقية.

سياسة جديدة

وقد شجع هؤلاء السياسيين والباحثين ما آلت اليه العملية السياسية الجديدة في العراق والتي تبنت توزيع الرئاسات الثلاث: رئاسة جمهورية (كردية)، رئاسة وزراء (شيعية) ورئاسة مجلس نواب (سنية) على هذا التقسيم الاثني الطائفي، وسنت بذلك سنة سياسية سيئة، قد تتحول فيما اذا لم تخترق في المستقبل الى قاعدة سياسية ثابتة، وبذلك قد تتحول هذه السنة السياسية في المستقبل من سنة الى فرض.

3. الاعتقاد بان النظام الفدرالي من شأنه ان يظلم الوحدات الادارية قليلة الثروة اقتصاديا ويركز الرخاء الاقتصادي في المناطق ذات الثروات العالية. فهذا التصور الخاطيء يرتكز على ان العراق، الذي مازال اقتصاده ريعيا ومعتمدا على الثروة النفطية بالاساس، اذا ما طبق النظام الفدرالي الاداري فسوف يظلم الوحدات الادارية التي ليس فيها انتاج للنفط، وسوف يركز هذا النظام الرخاء في الوحدات الادارية المنتجة للنفط. وهذا التصور الخاطيء دليل على ان اصحابه لا يفقهون النظام الفدرالي ولا تطبيقاته في دول العالم. ولعل الكثيرون يقفون ضد (فدرالية البصرة) بسبب هذا التصور الخاطيء، ذلك لان اغلب انتاج وتصدير النفط يتركز في هذه المحافظة. وعلى العكس من هذا التصور الخاطيء فان النظام الفدرالي الذي يقوم على اسس التوازن السياسي والاقتصادي والاجتماعي بين وحداته الادارية ليس من شأن تطبيقاته ان يظلم الوحدات الادارية غير المنتجة للثروة، بل العكس، فهذا النظام يتوجب عليه سد حاجة هذه المحافظات الفقيرة من خلال نظام توزيع الثروات الفدرالي. صحيح ان الفارق بين النظام الفدرالي والمركزي ان النظام الفدرالي تستفيد منه الوحدات الادارية الغنية بالثروة بشكل ملحوظ، ولكن النظام الفدرالي والذي يقوم على التوازن الاقتصادي بين وحداته سوف يسد حاجات الوحدات الادارية التي لا تمتلك ولا تنتج الثروة. وخير انواع النظم الفدرالية ـ وهي متعددة ـ والتي تعالج هذه المسئلة هوcooperative federalism اي (الفدرالية التشاركية اوالتضامنية)، والتي تقوم على اساس عقد تضامني بين المركز والوحدات الادارية الفدرالية يلزم هذه الوحدات بالمشاركة في اشباع وسد حاجات الوحدات الفقيرة. فمصادر واردات المركز المالية في النظام الفدرالي تقوم عادة على استيفاء الضرائب ومستحقات الدولة من الوحدات الادارية حسب انتاج كل وحدة من الثروة. وكلما زاد انتاج الثروة في وحدة ما كلما زاد مقدار دفعها للضرائب وبقية المستحقات. والنظام الفدرالي يوجب على المركز سد حاجة الوحدات الادارية الفقيرة من خلال ما تدفعه الوحدات الغنية من الضرائب.

فدرالية البصرة هي المفتاح لفدرلة العراق

اذا تحقق للبصرة ان تقيم فدراليتها فانها سوف تنجز مهمتين الا وهما، اولا: توطين مبدأ و(مصطلح) الفدرالية الدستوري الذي يعاني التغريب، وتقوية ركيزة بناء دستورية مفقودة، وتهدئة نفوس الخائفين من الفدرالية، وتغيير المزاج السياسي من المعاداة للفدرالية الى القبول بها، وهذا ما سوف يشجع على فتح الباب امام بقية المحافظات منفردة اومؤتلفة فيما بينها لانشاء الفدراليات الاخرى. وثانيا: طرح نموذج وطني غير النموذج الطامح للاستقلال اوالتقسيم وهذا مما يجعل فدرالية كردستان تغادر طموحاتها الاستقلالية ويوطن فدراليتها ضمن اجواء فدرالية وطنية تسهم بشكل فعال في تجذير الوحدة الوطنية.

الدولة النبوية

خالد محسن الروضان
بغداد

لم يعرف العرب قبل الاسلام شكل الدولة الملازمة للتمدن والحضارة لانهم كانوا على شكل قبائل متناحرة يحكم كل قبيلة رئيسها وقوانينها وتقاليدها والهتها الخاصة. وكان لمحمد الدور الكبير في بلورة فكرة بناء الدولة حيث واجه صعوبة في ذلك لانه واجه عشرات الدويلات الصغيرة (القبيلة) المستقلة في قياداتها وتقاليدها بدلاً من مواجهة دولة واحدة. ففي الثلاثة عشر عاما الاولى من الدعوة والتي قضاها داعياً في مكه لم يتطرق القران الا الى العقائد والاخلاق والدعوة الى توحيد الله واقامة الدليل على وجوده. ولم يظهر للرسول اي توجه سياسي خاص وانه في مكة لم يواجه نظام سياسي بل نظام قبلي، لذلك عرض عليه المكيون تتويجه ملكاً عليهم على ان يترك الدعوة الى مبادئه وافكاره فرفض ذلك لانه داعية الى رسالة ونظرية انسانية شاملة. كما ان محمد لم يواجه في مكة نظام حكم ولا ادارة ولا دولة، فمكة ذات نظام قبلي لم يعرف الدولة ولا السلطة السياسية وانما واجه ثقافة وعقلية تقليدية محافظة ومعتقدات دينية متخلفة وجاهلية. كان هدف الرسول في رسالته انقاذ الناس من الجهل والخرافات وليس حكم الناس، لان الحكم مسألة زمنية جزئية نسبية، والرسالة مسألة كلية شاملة، وليس لصاحب الرسالة ان يهتم بالجزئي النسبي المتغير ويدع الكل المطلق الثابت (لست عليهم بمسيطر. ولا وكيلاً ولا جباراً. بل نذيراً وبشيراً) من هذا المنطلق عانى محمد واصحابه من اضطهاد المشركين وادرك انه ان الاون ليناضل هو واصحابه دون تردد ضد الكفر من اجل الايمان، وضد الاستبداد من اجل التحضر معتمداً في ذلك على ما اشتهر به من نزاهة ورجاحة عقل الى جانب كونه قائدا عربيا ينطق العربية، وهو فوق ذلك قائد محايد مقبولاً عند العرب لحل المنازعات وفض الخلافات. ورغم كل هذه الصفات الايجابية الا انه لم ينقطع عن مشاورة الناس والاخذ برأيهم مؤكداً التمييز بين ماهو وحي وبين ماهو رأي شخصي واجتهاد منه قابل للنقاش لقد عود الرسول اصحابه واتباعه رغم هاجس الخوف، ان يسألوا ويرشدهم وان دل هذا على شيء فانما يدل على الروح الديمقراطية التي يتمتع بها محمد قبل ان يشيع هذا المصطلح نفسه عندما كانت اوربا غارقة في الظلام. اليس هذا عبرة لكل حاكم في هذا العصر ان يقبل مبادئ ورسالة محمد اذا كان الرسول يطرح رأيه للنقاش بل يحث عليه (انتم اعلم بشؤون دنياكم) ولم يستغل كونه قائد رسالة الناس من اجل طمع او مصلحة شخصية كما انه اقر بامكانية الخطأ فيما يصدر منه كانسان (انما انا بشر وانكم تختصمون الي. ولعل بعضكم يكون ألحن من بعض فاقضي له بما اسمع. فمن قضيت له بحق اخيه فأنا اقطع له قطعة من نار) .

انظمة الحكم

-وانا اتساءل اليوم اين انظمة الحكم ونظام الحكم في العراق من مبادئ هذا القائد الانساني الذي قاد الامة باسلوب ديمقراطي قبل مئات السنين في حين كانت اوربا غارقة في الجهل والظلام ونحن اليوم غارقون في الفساد والظلم والاستبداد والدكتاتورية الم تكن عبرة لقادة هذا العصر بسلوك محمد قائد كل عصر ومثال كل نظام .

ان النبي لم يشكل دولة بعنوانه نبياً مرسلاً من الله بل بصفته مصلحاً يريد الخير لامته وانقاذهم من الوضع المأساوي الذي كانت عليه الامة العربية في ذلك الوقت، تماماً كما ثار الحسين (ع) ضد الكفر، فحمل الحسين (ع) روح جده محمد (ص) وهو كبير يحارب في كربلاء اكثر مما حمله جده وهو صغير يلعب في يثرب. لقد اراد محمد تحويل الدعوة الجديدة الى واقع حي يستوعب طموحات الانسان، لان لكل دين او رسالة نظرة خاصة عن الانسان تمثل عنصراً اساسياً من عناصرها. لذلك عمل الرسول على مشروعه في تشكيل الدولة لاخراج الانسان من الاجواء القبلية والثقافة البدوية الى اجواء المسؤولية السياسية والاجتماعية التي تفرضها حضارت العصر والمعطيات العامة التي يفرزها التطور الحضاري. وعلى هذا الاساس فأن حكومة محمد (ص) في المدينة لم تكن دينية فقط بل مدنيه ايضاً، وان الاوامر السماوية الصادرة للناس في الارض انما هي اوامر ارشادية (يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله واولي الامر منكم) (النساء- 59) لقد بذل النبي جهداً كبيراً من اجل المحافظه على المشروع الحضاري الذي اسسه لانه يرى ان الدولة المتكاملة كالجسد الحي لابد لها من حدود امنة وقوة دفاعية لردع العدوان عنها وسد الثغور. اكد على وجود القوة الدفاعية كاسلوب ضروري لمسيرة اي حضارة ودولة تريد النهوض والدوام كما هو الحال في دفاع الانسان عن نفسه وما جاء به الرسول (ص) من مشروع ومشروعية في بناء الدولة كان له اعظم الاثر في كسر شوكة الجاهليين وارغام انوف اخرين في دعوة الناس الى الاسلام بعيداً عن سفك الدماء وكان الرسول يحاسب من يخالف هذه القاعدة. فمن خلال السيرة النبوية الشريفة وملاحضة التطورات والاجراءات التي ولدت من خلالها الدولة الجديدة (دولة المدينة) التي تمثلت في الصحيفة التي وضعها الرسول (ص) والتي تتضمن المفهوم الرسالي المحمدي للدولة، حيث اشارات نصوصها الى مقومات ودعائم الدولة بمواردها المختلفه، وتعد من اهم الوثائق السياسية والقانونية بوصفها الدستور الذي يعطي الرسول الدور المركزي في بناء الامة الجديدة التي تتكون من الانصار والمهاجرين ويهود المدينة. وهناك من يرى من الباحثين ان اصل الدوله ومنشأها يرجع الى اساس ديني مباشر وان الحكومة منذ عهد طويل هي حكومه دينيه (كانو بنو اسرائيل تسوسهم انبياؤهم) اي تتولى امورهم وشؤونهم وكان الحكام يسيطرون على رعاياهم على اساس (الحق الالهي) وقد اعتقد اليهود بأن نظامهم يستند الى اصل ديني سماوي، ويعتقد المسيحيون ذلك ايضاً حيث ضلت الكنيسة هي الحاكمة بأسم المسيحية. كما ذهبوا الى ان الله اعطى الملوك سلطة مباشرة وان مقاومته سواء ان عدل ام جار في حكمه هي معصية لامر الله تعالى. اما الشريعة الاسلامية فأنها ترى الدولة شأنا من شؤونها حيث بنيت مناهج الحكم فيها على اسس شرعية وعقلانية سليمة ليس فيها اضطهاد لفئة، وليس حكما مطلقا لدى الشخص معين دون اخر وليس حكما مطلقا لشخص معين دون اخر فالناس سواسية امام الحق والعدل والمساواة بلا تمييز او فرق بينهم لذلك كان الاسلام رؤية واضحة في الدولة فقد نظرت الشريعة الى الدولة بعمق وشمول، ووضعت الحلول الحاسمة لجميع مكوناتها الاقتصادية والاجتماعية بقصد الاصلاح والتطور للنظام الاجتماعي تطوراً كلياً وشاملاً كما ورد في الرسالة المحمدية بشأن بناء (دولة المدينه) التي وضعت اسسها (صحيفة المدينه) التي لم تعد الدولة فيها كونها حارسة للشعب ولامجال لها في التدخل في الشؤون العامة حماية لمصالح الشعب ورعاية لشؤونهم العامة والخاصة اضافة على التأكيد اهمية الفرد وصيانة حقوقه والمحافظة على حرياته.

ان الدولة التي تقرها الشريعة وحمل رئاستها ومبادئها للرسول هي تلك الدولة التي تتوفر فيها عناصر المثل العليا التي جاء بها الاسلام ونادت بها الرسالة المحمدية. يقول الامام علي (ع) رائد العداله الاجتماعية في حديث له مع ابن عباس وكان (ع) يخصف نعله بيده.يا أبن عباس ماقيمة هذا النعل؟

قال له:لا قيمة له يا امير المؤمنين

قال الامام علي (ع) والله لهي أحب الي من أمرتكم ان لم أقم حقاً وادفع باطل.

تدخل ايجابي

وهذا ماسار عليه الامام علي (ع) عندما وسع صلاحية الدولة فأمر بالتدخل الايجابي في شؤون الناس للاطلاع على مهامهم وعليهم ان يسلكوا معهم مسلك اللطف واللين. فقد نضر الى اعمق من ذلك بكثير فجعل خليفة المسلمين مسؤولاً عن شغب اي انسان حتى لو كان في اقصى اقاليم الدولة. حيث يقول (أقتنع من نفسي بأن يقال امير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر واكون أسوة لهم في جشوبة العيش) .

ان وظيفة الدولة عند الرسول (ص) والامام علي (ع) لم تقتصر على جهة خاصة وشأن معين من شؤون الناس وانما شاملة لجميع مناحي حياتهم وعليها ان تراقب بحزم اقتصاد البلاد فتمنع الربا وتقضي على الاحتكار والاستغلال وتراقب الاسراف وتمنع الغش والغبن وسائر ماحرمه الله (لتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) كما تعمل الدولة على ايجاد الوسائل لرفع مستوى معيشة الناس العامة واعانة الضعفاء والمحرومين والانفاق على العجزة والايتام (لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه) هكذا كانت حكومة محمد (ص) مثالاً لكل الحكومات القديمة والمعاصرة في ارساء قواعد العدل والمساواة وتقويض اركان الظلم والعبودية والاستغلال ومقاومة الاستبداد وهدم عروش الطغيان، وسيادة القيم الدينية واقصاء نوازع البغي والفساد والشر، وتوطيد التعايش السلمي بين البشر ونشر تقاليد حسن الجوار مع دول مجاورة لها .

عالم اليقين
في زمن بلوغ القلوب.. الحناجر

فؤاد مطر
بيروت

إعتدتُ لمجرد أن تبدأ الأيام الشعبانية تحضير الوجبات الفكرية الإيمانية المعْرفية للشهر الفضيل رمضان، وبحيث تكون هذه الوجبات من كُتب وقصاصات مؤجلة قراءتها جاهزة عندما يهل هذا الشهر وتبدأ المصابيح تزيِّن المساجد وتصدح المآذن ويغمر الفرح محيا الصغار الذين يحملون الفوانيس وينتشر عبْق البخور والعطور، وتبدأ روائح إعداد الحلويات الرمضانية والعصائر والمشروبات على أنواعها من الجلاب إلى العرقسوس إلى التمر الهندي. وهذا تقليد راسخ الجذور في مصر عايشْته على مدى رمضانات عقديْن من زمن عملي الصحافي بين بيروت والقاهرة، وهو مبهج لطالما كنت مثل ملايين أنتظر بصبر المشتاق أيامه التي تتميز عن سائر أيام أشهر السنة ولاسيما الليالي الرمضانية في حي الحسين وفي ظلال الأزهر الشريف وذلك لأن رمضان المبارك شهر حافل بكل الدروس أوجزَها الرسول بعبارة لها صفة المعادلة وهي "الصبر نصف الإيمان والصوم نصف الصبر" ومعها قوله "للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرِح بصومه".. إلى جانب حفوله بكل أنواع الأطَايب. كما أنه الشهر الذي يحلو فيه التأمل ومساءلة النفس عما فعلت فيعتذر المرء من حاله على فعْلٍ مبغوض أو غير مستحب صدر منه أو حتى عن إساءة ألحقها بغيره ولو عن غير قصْد وكذلك الإعتذار عن فلتة لسان أو لتكاسل في تأدية واجب إنساني وعمل الخير. ومن هنا قول الإمام جعفر الصادق:"إذا صُمْت فليصم سمعكَ وبَصرك ولسانك". وكما المألوف طوال الثلاثين نهاراً صوماً، أعود إلى السلف الصالح فعلاً وقولاً ونُصحاً مع وقفات تعبدية صوفية أمام مسيرة خاتم الأنبياء وصحبه ونُصحه وتعاملُه مع الآخر، وأمام صفوة القوم الذين عاهدوا وثابروا وصبروا إلى أن إكتملت إشراقة شمس الدعوة التي صمدت ويتواصل صمودها أمام جاهليات مستجدة تحاول بما تقترفه من إساءات أقرب إلى الذنوب تصوير الدين الحنيف على غير جوهره الكثير النقاء. من أجْل رمضان العام 1440للهجرة الذي هلَّ علينا يوم الثلاثاء 6مايو/ أيار 2009م يسرت الكاتبة المتألقة سناء البيسي لجمهور المحروسة مصر كما لأبناء الأمة، ومنهم الكثيرون الذين يقرأون بشغف إطلالاتها السبتية في "الأهرام"، أدْسم وجبة فكرية دينية وجدانية تتمثل في كتاب ("عالم اليقين". دار نهضة مصر للنشر). ولقد بدت في كتابها هذا وكأنما تريد من فصوله الإثني عشر الحاضنة 653صفحة إضافة الجديد وبكل التيسير في السرد مما لم يسعف العمر الشيخ محمد متولي الشعراوي وكذلك الشيوخ السبعة الحاضرين في المشهد الميسِّر للإسلام محمود شلتوت ومصطفى المراغي ومحمد الغزالي وعبد الحليم محمود ومصطفى عبد الرازق وأحمد حسن الباقوري، وكذلك الشيخ الدكتور أحمد الطيِّب.. إلى جانب قامات فكرية أمثال طه حسين والدكتورة بنت الشاطىء، ساهموا خلال سنوات سبقت الرحيل في إغناء الإضاءة على السيرة النبوية وعلى الذين خاضوا الغمار مع الرسول ثم بعد إنتقاله إلى رحاب رب العالمين، بمؤلفات. بعد بنت الشاطىء التي كانت مؤلفاتها وكتاباتها في "الأهرام" من جملة زادنا الثقافي نحن الذين واكبْنا رفْدها المكتبة العربية بكتابات طالما أنارت معالم الطريق، يأتي كتاب سناء البيسي "عالم اليقين" في وقت تعيش بعض ديار الأمتيْن العربية والإسلامية ظاهرة تتلخص في أن القلوب المثقلة بكل أنواع الهموم بلغت الحناجر لدى بعض أُولي القوم ولاسيما في لبنان والسودان والجزائر واليمن وفلسطين والعراق وليبيا، والمسلسل لا يبدو على موعد مع التوقف كون أكثرية الناس في هذه الدول التي هي بين أغنى بلاد العالم العربي تُكابد شظف العيش، ومن أجْل ذلك بلغت القلوب بما فيها من مر الشكوى الحناجر التي عندما ثابرت وصمدت وترفعت عن الإيذاء فإن الحناجر أطلقت صرخات كالقذائف وأحياناً كالرعود بعد البروق، وبالكثير من التأدب والوجع. وعلى ما هو حاصل في المشهد ستتواصل الصرخة تلو الصرخات إلى أن يتحقق لها القليل من الكثير الذي تتمناه. أضافت سناء البيسي إلى ما كنا إختزنَّاه من أمثولات في عبقريات محمود عباس العقاد عن رموز السلف الصالح، ذلك أنها قرأت وسألت وأفاضت في الإستفسار وبالكثير من الرقة في تعامل القلم مع الحدث وبالكثير أيضاً من تقريب المجهول من المعلوم، ودائماً في ما فعلت كانت تحت سقف الثابت والمؤكد، أو ما إختصرتْه بمفردة "اليقين".

كتب تراثية

كما أنها رطَّبت من ما هو معروف عن الكتب التراثية من جفاف السرد، وذلك بالسلاسة التي يتسم بها أسلوبها في معالجة قضايا ورموز دينية يُستوجب التهيب وتفادي المحاذير عند تناول تاريخها ودورها وتفسير مقاصدها، وبذلك جعلتْنا أمام إستحداث تاريخ جليل مضى بإضاءة عليه محسوبة بالكثير من التنبه الإيماني. وفي تقديري أن كاتبتنا المرموقة أسست في كتابها هذا "عالم اليقين" لنهج جديد في تناول التراث الإسلامي التليد بدءاً من الدعوة قبل 1440 عاما وصولاً إلى ما هو ممتد من الزمن الآتي. فلا تعقيد في التناول ولا أحكام دنيوية مطلقة على وقائع دينية ولا تفسيراً شخصاني الهوى، كما لا بدعة فتاوى تأخذ من وهج دعوة وتراث رموزها من النبي (ص) إلى الذين واكبوه وأكملوا الرسالة من بعده. ولهذا التحديث من جانب سناء البيسي في الكتابة عن بداية الإضاءة مع النبي الكريم، ما يفيد الجيل الحائر من أبناء الأمة العربية الذين يفتقدون إلى مَن يكتب عن الدين الحنيف دعوة وصحابة وخلفاء وأئمة ورواد فكر إسلامي مستنيرين، بما يجعلهم يستوعبون ويطْمئنون وينأون عن ظواهر مسيئة مثل "الداعشية" بعضها مستتر وبعضها بالصوت والصورة التي أمعن الواقعون في شراك توجهاتها وأفكارها و "فتاواها" تشويهاً في عقول بعض العباد ودماراً في كثير من البلاد. وكانت كاتبتُنا شُجاعة في إقتحام المسائل الدينية لكنها أجادت في الإختيار كما في التناول ودائماً تحت سقف اليقين من مبتدى كتابها إلى منتهاه الذي إستلهمت لفكرته ومحتواه قول الرسول "إن الله بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في الرضى واليقين". مع التمني بشهر صوم في الأمة تكون الحال على غير ما نعيشه من إنحباس للفرح والإستقرار وتغييب لليقين، وبسبب ذلك يتراكم الكمد في القلوب وصولاً إلى إنطلاق الحناجر التي تتعثر مفاعيلها أحياناً... وتثمر إنقلابات تؤسس مع الأسف لإنقلابات. والله المعين.